Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 52, No. 6, 2025, 7387

Deanship of Scientific Research

Impact of Andalusia's Cultural Environment on the Development of Linguistic and Critical Terms during the 4th and 6th Century AH

Zahir Badar Al Ghusaini [1]*, ***Mahmood Suliman Al Riyami*** [1], ***Ignacio Ferrando Frutos***[2]

[1] Department of Arabic Language and Literature, Sultan Qaboos University, Sultanate of Oman.

[2] Department of Philology, Faculty of Philosophy and Arts, University of Cadiz, Spain.

Received: ++16/9/2023
Revised: ++22/10/2023
Accepted: ++13/11/2024
Published online: 1/6/2025

* *Corresponding author:*
zahir@squ.edu.om

Citation: Al Ghusaini, Z. B., Al Riyami, M. S., & Frutos , I. F. (2025). Impact of Andalusia's Cultural Environment on the Development of Linguistic and Critical Terms during the 4th and 6th Century AH. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *52*(6), 7387.
https://doi.org/10.35516/hum.v52i6.7387

Abstract

Objectives: This research examines the impact of the Andalusian cultural environment on the development of linguistic and critical terminology from the 4th to the 6th century AH. The research issue stems from the observation that a thorough reading of the Andalusian cultural trajectory confirms that Andalusia was not detached from the Eastern Islamic world during the early stages of its cultural foundation, starting from the era of the governors, as it was a transitional period. However, the situation changed when the Andalusian identity began to seek its uniqueness.

Methods: The research employed both inductive and analytical methods to trace and extract linguistic and critical terms from selected works within the research sample. The aim was to understand the cultural influences of the Andalusian environment and the relationship between the cultural environment and the linguistic and critical terms.

Results: The research concluded that the circulation of Andalusian terms followed pathways that defined the specificity of the Andalusian terminology, such as singing and entertainment, the beauty of the Andalusian environment, and debates and discussions. Eastern terms dominated the writings of Andalusians, as evidenced in the book *Al-Mukhassas* by Ibn Sīdah. However, there was a distinct Andalusian specificity in some terms related to Andalusian works, demonstrated by the expanded meanings of certain terms such as *Diwan* and *Rasā'il*.

Conclusions: The research addressed the influence of the Andalusian cultural environment on the development of linguistic and critical terms from the 4th to the 6th century AH. It showed that there was an Andalusian specificity in some terms of works related to Andalusia. Some Andalusian terms were bound by constraints such as description, addition, and explanatory clauses, which underscores the Andalusian identity's commitment to its terminological specificity despite their rarity.

Keywords: Terminology; Cultural Environment; Andalusia; Language; Criticism.

أثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية من ق 4هـ حتى ق 6هـ

زاهر بن بدر الغسيني [1]*، ***محمود بن سليمان الريامي*** [1]، ***إغناثيو فيرا ندو فروتوس*** [2]

[1] قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عُمان.

[2] قسم فقه اللغة، كلية الفلسفة والآداب، جامعة قادس، إسبانيا.

ملخّص

الأهداف: يتناول هذا البحث أثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية من ق 4هـ حتى ق 6هـ، وتنبثق إشكالية البحث من أن قراءة مسار الثقافة الأندلسية بإمعان تُثبت أن الأندلس لم تنفصل عن المشرق في بداية التأسيس الثقافي الأندلسي بدءًا من عصر الولاة، لكونها مرحلة انتقالية؛ لكن الأمر تغير حين بحثت الشخصية الأندلسية عن ذاتها.

المنهجية: اعتمد البحث على المنهجين الاستقرائي والتحليلي في تتبع المصطلحات اللغوية والنقدية واستخلاصها من المؤلفات المُختارة ضمن عينة البحث، بهدف الوقوف على المؤثرات الثقافية للبيئة الأندلسية، والعلاقة بين البيئة الثقافية والمصطلحات اللغوية والنقدية.

النتائج: خَلصَ البحث إلى أن دوران المصطلحات الأندلسية تمثل في مسارات شكلت خصوصية المصطلح الأندلسي، منها: الغناء واللهو، وجمال البيئة الأندلسية، والجدال والنقاش، وغلبت المصطلحات المشرقية في تآليف أهل الأندلس، ويظهر ذلك جليًا في كتاب (المخصص) لابن سيده، إلا أن هناك خصوصية أندلسية في بعض مصطلحات المؤلفات ذات الارتباط بالأندلس، من خلال توسع دلالة بعض المصطلحات منها مصطلح (ديوان) ومصطلح (الرسائل).

الخلاصة: تناول البحث أثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية من ق 4هـ حتى ق 6هـ، وأظهر البحث أن هناك خصوصية أندلسية في بعض مصطلحات الأعمال المتعلقة بالأندلس، وقُيدتْ بعض المصطلحات الأندلسية بقيود منها: الصفة، والإضافة، والجملة الشارحة، بما يؤكد حرص الشخصية الأندلسية على خصوصيتها المصطلحية رغم قلتها.

الكلمات الدالة: المصطلح، البيئة الثقافية، الأندلس، اللغة، النقد

© 2025 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

لقد كان اهتمام علماء العربية قديمًا وحديثًا بالمصطلح ورسم حدوده المعرفية، نابعًا من أهميته في تقريب الفجوة بين الأمم والشعوب، بوصفه مفتاحا للعلوم والثقافات، فالمصطلح العِلمي "أداة البحوث العلمية، وعنه يتفاهم العلماء في شؤون المواد العلمية، وليس هناك علم دون قوالب لفظية تعرف به، وهذه القوالب اللفظية هي التي نعني بها المصطلح العلمي" (الموسوي، 1993: 110) .وتكمن قيمة المصطلحات بوصفها "صورة مكثفة للعلاقة العضوية القائمة بين العقل واللغة، وتتصل أيضًا بالظواهر المعرفية"؛ لأن المصطلحات في كل علم من العلوم هي بمثابة النواة المركزية التي يمتدُّ بها مجال الإشعاع المعرفي، ويترسخ بها الاستقطاب الفكري، ولذلك كانت المصطلحات أولى قنوات الاتصال بين مجالات العلوم البشرية مثلما هي على مستوى الحوار الحضاري بين الأمم والتواصل الثقافي بين الشعوب بمثابة الجسور الواصلة بين اللغات الإنسانية" (المسدي، د.ت: 126).

ويُعدُّ المصطلح أحد أسس تطور فكر المجتمعات، ومُرتكز بنائها المعرفي، ولطالما ألقَت قضية المصطلح بظلالها في المشهد الثقافي العربي قديمًا وحديثًا، باعتبار المصطلحات مفاتيح العلوم، وهو ما تجلى في ظهور مؤلفات كشفت عن اهتمام العلماء القدماء بهذه القضية، منها: (نهاية الإرب في فنون الأدب) لأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت733هـ)، و(التعريفات) لعلي بن محمد الجرجاني (ت816هـ)، و(كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) لمحمد بن علي التهانوي (ت بعد 1158هـ)، وغيرها من المؤلفات التي كشفت جهود العلماء في القضية المصطلحية، وإدراكهم لأهميته في فَهْمِ العلوم، وسبر أغوارها. وعلى طوال 8 قرون عاشها العرب في إسبانيا -بدءًا من فتح الأندلس في 92هـ / 711م حتى سقوطها في 879هـ/ 1492م- ارتبط الأدب الأندلسي بالأدب المشرقي خاصة في مرحلة دخول الإسلام للأندلس وما صاحبها من متغيرات، ثم تغير مساره بتغير المعطيات السياسية والاجتماعية والثقافية واللغوية، فكان حريًا أن يتأثر المصطلح العربي بمتغيرات البيئة الثقافية التي نشأ فيها، باعتبار المصطلح أحد أسس تطور المجتمعات، ودليل تطور الفكر الإنساني.

إشكالية البحث

تنبثق إشكالية البحث من أن الأدب الأندلسي ما زال محصورًا في زاوية النقاد بين التبعية والخصوصية، فهناك مَنْ يراه أدبًا ممتدًا للأدب المشرقي دون خصوصية أندلسية، وبين مَنْ ينظر للأدب الأندلسي من زاوية مستقلة وخصوصية حتَّمها الزمان والمكان، إلا أن قراءة مسار الثقافة الأندلسية بإمعان تُثبت أن إقليم الأندلس لم ينفصل عن المشرق، خاصة في بداية التأسيس الثقافي الأندلسي بدءًا من عصر الولاة، لكونها مرحلة انتقالية؛ لكن الأمر تغير لاحقًا، حين بحثت الشخصية الأندلسية عن ذاتها، ونزعتْ إلى التفرد. وعليه؛ يسعى هذا البحث للوقوف على أثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية في الأندلس، وفق حدود زمانية للبحث تبدأ من القرن 4 هـ حتى القرن 6 هـ، وهي الفترة التي شهدت فيها البيئة الثقافية الأندلسية حِراكًا نقديًا واسعًا؛ جرَّاء مؤثراتٍ منها دخول بعض المصادر النقدية للأندلس، التي أوجدت معارضات نقدية بين المشرق والأندلس، حفَّزت الأندلسيين على التأليف النقدي، فكان حتمًا أن يلقي تلاقح الثقافتين المشرقية والأندلسية بظلاله في المصطلح اللغوي والنقدي، الذي لازمه تطور سواء في المشرق من خلال ظهور نماذج منها: (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني (ت 356هـ) و(الموازنة بين الطائيين) لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت 371 هـ)، أَمْ كان في الأندلس، من خلال ظهور مؤلفات أدبية منها: (العقد الفريد) لابن عبد ربه (ت 328هـ)، كتاب (المُخصص) لعلي بن إسماعيل المعروف بابن سِيدَه (408هـ)، (التوابع والزوابع) لابن شُهيد (ت426هـ)، (طوقُ الحمامة في الأُلفَةِ والأُلَّاف) لابن حزم الظاهري (ت 456هـ). وظهر أيضًا محمدُ بن عبد الله الأزدي (ت 456هـ)، المعروف بـ"ابن الذهبي"، صاحب معجم (الماء) الذي يُعد أول معجم طبي لغوي، وفق إشارات المؤرخين، وظهرت أيضًا رسالتا ابن زيدون (ت 463هـ) (الرسالة الجِدّية والرسالة الهزلية)، وكتاب (قلائد العقيان ومحاسن الأعيان) للفتح بن خاقان (ت 528هـ)، وكتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام الشنتريني (542هـ).

أسئلة البحث

يسعى هذا البحث إلى استقراء وتحليل أثر المرجعية البيئية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية في الأندلس من خلال عينة اختارها. وتنبثق من إشكالية البحث الأسئلة الآتية:

- من أين استقى علماء الأندلس منظومة مصطلحاتهم اللغوية والنقدية؟
- وما علاقة المصطلحات اللغوية والنقدية عند علماء الأندلس بالبيئة الثقافية الأندلسية؟
- أين تكمن خصوصية المصطلح اللغوي والنقدي في الأندلس؟

منهج البحث وأهدافه

يعتمد هذا البحث في دراسة الظاهرة المصطلحية على المنهجين الاستقرائي والتحليلي؛ إذ يرتكز على تتبع المصطلحات اللغوية والنقدية واستخلاصها من المؤلفات المُختارة ضمن عينة البحث، بهدف الوقوف على المؤثرات الثقافية للبيئة الأندلسية، والعلاقة بين البيئة الثقافية والمصطلحات اللغوية والنقدية وجوانب التأثير والتأثر، وتمثلت عينة البحث في المؤلفات الآتية وفق الترتيب الزمني: (العقد الفريد) لابن عبد ربه (ت 328هـ)، كتاب (المُخصص) لعلي بن إسماعيل المعروف بابن سِيدَه (ت 408هـ)، (التوابع والزوابع) لابن شُهيد (ت426هـ)، (طوقُ الحمامة في الأُلفَةِ والأُلَّاف) لابن حزم الظاهري (ت 456هـ)، ومعجم الماء لابن الذهبي الأزدي (ت 456هـ)، ورسالتا ابن زيدون (ت463هـ) (الرسالة الجدية والرسالة الهزلية)، (قلائد العقيان ومحاسن الأعيان)

للفتح بن خاقان (ت 528هـ)، وكتاب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) لابن بسام الشنتريني (542هـ). وجاء اختيار هذه المصنفات الأدبية دون غيرها نظير تجليات المصطلح بصورة لافتة للنظر بين طياتها، وظهورها في فترة زمنية تُعدُّ أكثر الفترات نضجًا وازدهارًا أدبيًا في الأندلس. وقد فرَّغ الباحثون المصطلحات اللغوية والأدبية الواردة في الكتب السابقة في جداول إحصائية سعيًا نحو ضبط المنهج تحليليًا. وتكمن أهداف هذا البحث في: بيان أثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية من ق 4هـ حتى ق 6هـ، وتقديم دراسة عِلمية جديدة تُضاف للدراسات الأندلسية السابقة.

أهمية البحث

تتمثل القيمة المعرفية والعِلمية لهذا البحث في تتبع المصطلح اللغوي والنقدي وأثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوره بدءًا من القرن 4هـ حتى ق 6هـ، بوصفه موضوعًا لم يحظَ باهتمام الباحثين، والوقوف على مدى تأثير تيارات البيئة الثقافية الأندلسية واتجاهاتها في المصطلح النقدي واللغوي، وجوانب هذا التأثير.

تمهيد

يُعرَّف المصطلح بأنه "رمزٌ لغويٌ وضع بكيفية اعتباطية أو اتفاقية بين فئة من المختصين في حقل معين من حقول العلم والمعرفة لضرورة البحث، وقد يكون هذا الرمز مصطلحا بسيطا مؤلفًا من كلمة واحدة، أو مركبًا من أكثر من كلمة، مع الاحتفاظ دائما بشرط إحالته على مفهوم محدد بشكل دقيق" (المذخوري، 2004: 97). واُستخدمت كلمتا "مصطلح" و"اصطلاح" وكأنهما مترادفتان، وهو ما أشار إليه الجاحظ (ت255هـ) بقوله: "وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له اسم في لغة العرب، فصاروا في ذلك سلفًا لكل خلف، وقدوة لكل تابع". (الجاحظ، د.ت: 139). أما في الوقت المعاصر، فقد ظهرت اتجاهات لاستخدام لفظي "مصطلح" و"اصطلاح"، فهناك من تعامل مع لفظ "اصطلاح" للدلالة على معنى اللفظ الذي يوضع للدلالة على معنى من المعاني المُستجدة، واستبعد لفظ "مصطلح" نهائيًا، ولم يأتِ على ذكر له، كما فعل أحمد فارس الشدياق في كتابه "الجاسوس على القاموس" فقال: "إن الاصطلاح هو اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص" (رقيق، 2012: 12). وما تجدر الإشارة إليه هنا وجود علاقة بين الأصل اللغوي ودلالة المصطلح "، فالمعنى اللغوي عام، بينما المعنى الاصطلاحي خاص، ولعل هذه الفروق تتسع أو تضيق تبعًا لنوع المصطلح ومادته العلمية أو الأدبية، وبمعزل عن ذلك يبقى الرابط بينهما موجودًا ولا يمكن فصله" (بو شارب، 2019: 84).

وارتكزتْ الثقافة العربية في إحدى جوانب تأصيل مصطلحاتها على استنباط المصطلحات من واقع البيئة الطبيعية والثقافية، التي تُحتم توظيف مصطلحات بعينها، وهو ما بَدا واضحًا في البيئة الثقافية الأندلسية التي بدأت فيها الحركة النقدية متأخرة؛ لعدم الاستقرار السياسي في بدايات الفتح الإسلامي للأندلس، وانعكاسًا للتنوع الثقافي، والتعدد الاجتماعي، والتمازج الحضاري الذي شهدته الأندلس؛ اختارت البيئة الثقافية الأندلسية مصطلح (الموشَّح) - مثلًا- لدلالة خاصة على ذلك الشعر الذي خرج عن نظام القصيدة العربية، ووحدة قافيتها، وبحرها الشعري، إلى نظام شعري لم تألفه العقلية العربية من قبل، حين ارتأتْ ذائقة الإنسان الأندلسي أن نظام القصيدة العربية القديمة لا يتماشى مع ميولها، فكسرت نمطية القصيدة القديمة بهذا المصطلح، الذي عرَّفه الصفدي (ت 637هـ): "ورسْمُ الموشَّح هو كلام منظوم على قدْرٍ مخصوصٍ، بقوافٍ مختلفة"، (الصفدي، 1966: 21)، فكان مصطلح (الموشح) أثرًا لثقافة المجتمع الأندلسي ومكوناته اللغوية والعِرقية، وهو ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذَّبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق في الغاية، استحدث المتأخرون منهم فنًا سموه بالموشح، ينظمونه أسماطًا أسماطًا، وأغصانًا أغصانًا، واستظرفه الناس جملة الخاصة والكافة لسهولة تناوله، وقُرب طريقه" (ابن خلدون، 2001: 583).

استقراء الأدبيات السابقة

تُمثل الأدبيات السابقة - من دراسات وكُتب ومؤلفات- مرتكزًا أساسًا في البحث العلمي، وتلعب دورًا في توسيع مدارك الباحث وثقافته، والاستفادة المعرفية ممَّا كُتب حول موضوع دراسته، بُغية التَّوصل إلى نتائج جديدة لم يصل إليها الباحثون السابقون. وبتتبع الأدبيات التي لامست موضوع البحث الحالي، لم يعثر الباحثون على دراسة طرقت أثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية، رغم وجود بعض الدراسات التي اشتغلتْ بالنقد الأندلسي منها دراسة: (تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري)، وخَلصت إلى عناية نقاد الأندلس في دراسة الأدب على أساس نفسي، إذ علَّلوا الإبداع الفني بأنه علاقة بين صفاء النفس والجسم، فمن كانت روحه مسيطرة على جسمه؛ أخرج الكلام في أبهى صورة، ومن كان جسمه مسيطرًا على نفسه؛ خرج كلامه ناقصًا في صورته، والتفت الأندلسيون في تناولهم النقدي إلى بعض المؤثرات النفسية المرافقة للإنتاج الفني، وعلَّلوا لمواقع الألفاظ، وأبانوا عن جودة التشبيه في إطار من ذلك. وتوصَّلت الدراسة أيضًا إلى أن القرن 4 هـ كان مَهدًا لكثير من القضايا النقدية التي أنضجها القرن الخامس، مثل: نقد اللغة، وتحليل المعاني، والدفاع عن الأدب، والانتخاب الأدبي، واتخاذ البديهية عيارًا للموازنة، وقد كان ذلك صدى لتشجيع الحكم المستنصر بالله (302 - 366هـ)، ومجالس المنصور بن أبي عامر (327 - 392هـ) التي عايشها بعض نقاد القرن الخامس، الذي غلب عليه التيار التطبيقي، وخلَّف اتجاهات واضحة وأفكارًا نقدية قيمة اتسم كثير منها بالوضوح، والجرأة، والدقة، والأصالة.

ومن الدراسات أيضًا: (التيارات النقدية المشرقية وأثرها في تكوين الاتجاهات النقدية الأندلسية) وكشفتْ عن قيمة النقد الأدبي في الأندلس خلال حقبة من الزمن عن طريق موازنات جزئية وكلية، وانطلقت الدراسة من حقيقة وجود تأثير للتيارات والاتجاهات النقدية التي كانت بالشرق على اتجاهات النقد بالأندلس. ومن الدراسات أيضًا: (الاتجاهات النقدية في الأندلس من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجريين) وتوصَّلتْ إلى أن للمتنبي وأبي العلاء المعري وأبي تمام أثرًا واضحًا في الأدب والنقد الأندلسيين، إذ اعتنى النقاد بشعرهم، فدرسوه، وشرحوه، ونقدوه، ولعب المؤدبون دورًا فاعلًا في بعث حركة النقد الأندلسي من خلال الحلقات التي كانوا يعقدونها، والشروح التي كانت تقام على الدواوين المشرقية، ونَتج عن تلك الشروح حركة نقدية بسيطة مبنية على الذوق الشخصي، والإعجاب المباشر، وجاءت ملاحظاتهم في مجملها تهتم بالجانب اللغوي، والتركيب السليم للعِبارة، وتوصَّلتْ الدراسة أيضًا إلى أن المساجد أسهمت في تطور النقد، منها جامع قرطبة الذي أدَّى دورًا فاعلًا في نهضة النقد الأندلسي، إذ اُشتهر بالحلقات العلمية بين الأدباء، والفقهاء، والنحاة، واللغويين، وطلاب العلم، فكان حلقة مهمة في نشر المعارف، ومنطلقًا رئيسًا للنقد في الأندلس.

وفيما يتعلق بالمدرسة الأندلسية النحوية، فهناك دراسة (الأصول النحوية عند المدرسة الأندلسية) وخَلصت إلى أن واقع الحياة السياسية في الأندلس في القرنين الخامس والسادس الهجري لا يتفق مع ما شهدته البلاد من ازدهار في الحياة العلمية، وقد كان لنحاة الأندلس دورٌ بارزٌ في تيسير النحو وتذليل صعوبته، من خلال وضع منظومات للنحو بها يسهل حفظه، وتضبط قواعده، وأيضًا شرح الكتب النحوية وتوضيح مبهماتها، وأشارتْ الدراسة أيضًا إلى أن نحاة الأندلس استقلوا عن المشرق، وانفردوا بآراء تدل على تبحرهم في هذا العِلم، واعتمدوا على القياس الذى يدعمه السماع، وسلكوا منهجًا وسطًا في القياس بين البصريين والكوفيين، ولذلك قلَّ عندهم الشذوذ الذى كثر عند غيرهم، ودراسة (الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف) واستنتجتْ أن الحياة اللغوية في الأندلس تأخرت في نشأتها عن الحياة اللغوية في المشرق بحكم الوضع الطبيعي للفتح، وتمثلتْ بواكير الحركة اللغوية في الأندلس في نشوء طبقة المؤدبين اللغويين الذين اتخذوا من المساجد مكانًا لتدريس اللغة، والرحلة ولقاء العلماء المشارقة، وهجرة الكتب المشرقية إلى الأندلس. أما في القرن 5 هـ فكان التأليف في الأندلس يسير في اتجاهين: اتجاه لشرح الكتب التي أصبحت عمدة دارسي النحو واللغة، وهي ثلاثة أنواع: شرح لدواوين شعرية، مثل: ديوان المتنبي، وديوان المعري، وشروح لمجاميع، مثل: ديوان الحماسة، وشروح للكتب النحوية واللغوية مثل: (الجُمل) للزجاجي، و(النوادر) للقالي. أما الاتجاه الثاني فهو في التأليف المعجمي، ويمثله أبو عبيد البكري (ت487هـ) في كتابيه (فصل المقال)، و(سمط اللآلي في شرح أمالي القالي)، وابن السِّيد البطليوسي (ت521 هـ) في كتابيه (شرح سقط الزند) و(الاقتضاب في شرح أدب الكتَّاب).

وبالنظر إلى الأدبيات المُشار إليها أعلاه؛ يمكن القول إن القيمة المعرفية لهذا البحث تكمن في تناوله لموضوع لم يحظَ بعناية الباحثين، فرغم وجود إشارات نقدية في معرض الحديث عن أثر البيئة الأندلسية في الأدب الأندلسي، لكن الدارسين لم يطرقوا أثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية من ق 4هـ حتى ق 6هـ

البيئة الأندلسية

إن الحديث عن البيئة الأندلسية سواء الثقافية أم الطبيعية يُحتم الإشارة إلى قيمة هذا المكون الطبيعي في الواقع الأندلسي، فمن زاوية البيئة الطبيعية، فقد لخَّص المَقرّي وصفها بقوله: "محاسنها لا تُستوفى بعبارة، ومجاري فضلِها لا يُشقُ غباره" (المقري، 1949: 127)، ووصفها ابن سعيد المغربي فيقول: "ميزان وصف الأندلس أنها جزيرة أحدقت بها البحار، فأكثرت فيها الخصب والعمارةَ من كل جهة، فمتى سافرتَ من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارةِ ما بين قرى ومياهٍ ومزارع" (المقري، 1949: 205)، ويذكر سلامة عن الأندلس بأن الله "خصها بطبيعة ساحرة أضحت أغنى البُقاع منظرًا، وأوفرها جمالًا، حيث ترتفع منها الجبال الخضر، وتمتدُّ في بِطاحها السهول الواسعة، وتجري فيها الجداول والأنهار، وتُغردُ على أفنانها العنادلُ والأطيار، وتنسابُ في مراعيها الماشية والأغنام، ويعطِرُ النسيم جوها المعتدل، وبساتينَها الناظرة، وقد تحدث عن جمالِها كل من حلَّ بها" (سلامة، 1989: 88).

أما البيئة الثقافية في خصوصية تعريفها، فيُقصد بها جميع المؤثرات الفكرية والثقافية التي أنتجها الإنسان، فهي إطار ثقافي عام ينطلق تأثيره من الجانب المعرفي ليمتد فيشمل جميع مناحي الحياة الثقافية المادية وغير المادية، وهي على ذلك علم إنساني مكتسب ومتطور، يشمل المعتقدات والأفكار والآداب والفنون والمنحوتات وجميع أشكال المنتوج الثقافي. وحين يُربط المصطلح بالبيئة الثقافية، فإن ذلك يعني التعامل مع المصطلح بوصفه مرجعية ثقافية وحضارية، وقد كان للمتغيرات السياسية التي مرَّت بها الأندلس صدى في الواقع الثقافي الأندلسي، الذي أوجد بيئة ثقافية أندلسية بَدَا مسارها الثقافي والعِلمي متفاوتًا في حقبة سياسية دون أخرى؛ بدءًا من دخول عبد الرحمن الداخل وبناء جامع قرطبة، الذي شكل إضافة في الثقافية الأندلسية، وصولًا إلى فترة عبد الرحمن الناصر وذريته، وما شهدته الأندلس من انفتاح ثقافي على الثقافة المشرقية، وهو ما استفادت منه الشخصية الأندلسية. ولَعبَ حكام الأندلس وأمراؤها دورًا فاعلًا في إثراء البيئة الثقافية الأندلسية، حين شاركوا عامة الناس في الأدب، بدءًا من عصر عبد الرحمن الداخل (138هـ-172هـ) الذي أسَّس بيئة أندلسية مُتفرِّدة سياسيًا، وعمرانيًا وثقافيًا، وكان "بليغًا مفوهًا، وشاعرًا محسنًا" (المقري، 1949: 37)، واستمرَّ نمو البيئة الثقافية الأندلسية ونهضتها في عصر عبد الرحمن الثالث (الناصر) (300-366هـ)، إذ أوجد بيئة ثقافية حاضنة للإبداع الأندلسي، حين فتح الباب على مصراعيه للتلاقح الفكري مع المشرق، وإيجاد نهضة علمية وأدبية في الأندلس، عبر تشجيع المشارقة بالقدوم للأندلس، وكان أول القادمين إلى

الأندلس في عصره أبا علي القالي (ت 356 هـ)، الذي كان دخوله للأندلس مُنعطفًا ثقافيًا، فألَّف القالي (الأمالي) وضمَّ محاضراته التي كان يُمليها في جامع قرطبة، وألَّف أيضًا أول معجم ظهر في الأندلس وهو (البارع في اللغة)، وأسهم القالي في الحياة اللغوية بالأندلس، وجَلب معه دواوين شعرية لشعراء مشارقة، منها: ديوان ذي الرمة، وديوان الحطيئة، وديوان النابغة الذبياني، وديوان الأعشى، وديوان امرئ القيس، وشعر نقائض جرير والفرزدق والأخطل. وخَلَفَ عبد الرحمن الناصر ابنه الحكم المستنصر (302 – 366 هـ) الذي جاء عصره امتدادًا لحُكم والده، فقد كان المستنصر "يستجلب المصنفات من الأقاليم والنواحي، باذلًا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت خزائنه، وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك" (المقري، 1949، ج1/ 371)، وكان الحَكمُ "جامعًا للعلوم، مُكرمًا لأهلها، جمع من الكتب المختلفة ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، وذلك بإرساله لها في بجمع الأقطار، واشترائه لها بأغلى الأسعار" (الحميدي، 1997: 19).

إن الحِراك الثقافي الذي أوجده الحكم المستنصر في البيئة الثقافية الأندلسية "بعث شعورًا بالثقة، حيث ميَّزت بين التبعية الكاملة للمشرق، والاستقلال الذاتي، وساعد على ايجاد الوعي العميق عن طريق المقارنة والمفارقة، وهي أول حوافز النقد" (عباس، 1983: 472). وبمنأى عن الأوضاع السياسية التي عاشتها الأندلس، فقد استمر نمو البيئة الثقافية في عصر الدولة العامرية بالأندلس، إذ استمرَّ المنصور بن أبي عامر في تشجيع الثقافة والأدب، وكان يميل إلى ما كانت له صبغة أدبية، حتى أُضطر إلى حرق كتب الفلسفة والمنطق التي تضمنتها مكتبة الحكم المستنصر، وهو ما أثبته صاعد البغدادي في (طبقات الأمم) "وعمد أول تغلبه على هشام المؤيد ابن الحكم إلى خزائن الحكم الجامعة للكتب المذكورة" (البغدادي، 1912: 66)، وكان للمنصور "مجلس معروف في الأسبوع يجتمع فيه أهل العلوم بحضرته، وكان حريصًا على الاستماع لإنشاد الشعر فيه" (عليان، 1984: 60)، إضافة إلى أنه استقطب صاعد البغدادي (ت 417هـ) صاحب (الفصوص) و(طبقات الأمم)، الذي قال عنه الحميدي: "كان عالمًا باللغة والأدب والأخبار، سريع الجواب، حسن الشعر، طيب المعشر، فَكِه المجالس، فأكرمه المنصور وزاد في الإحسان إليه، والإفضال عليه" (المراكشي، 1963: 76).

وبنهاية الدولة العامرية في الأندلس بدأت الفتنة القرطبية (البربرية) في أواخر القرن الرابع الهجري وبداية الخامس (399 هـ)، ومعها تأرجح واقع البيئة الثقافية في الأندلس بين ضعف وقوة، إذ أثَّرتْ هذه الفتنة في واقع البيئة الثقافية الأندلسية، فأدت إلى القضاء على الكثير من العلماء والتشرُّد، وأدَّت الفتنة إلى إحراق الكتب وتدمير المكتبات، منها مكتبة الحَكم المستنصر، وأدق وصف لاضطراب البيئة الثقافية في الأندلس خلال هذه الفترة ما أشار إليه صاعد البغدادي واصفًا واقع الكتب في قصر قرطبة: "فبِيع ذلك بأوكس ثمن، وأتفه قيمة، وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس" (البغدادي، 1912: 67). وخلافًا لاضطراب البيئة الثقافية الأندلسية في عصر الطوائف، الذي جاء انعكاسًا للوضع السياسي، إلا أن هذه البيئة الثقافية انفتحت أيضًا علميًا وفكريًا، جرَّاء عناية أمراء الطوائف بالثقافة، وتشجيع العلم والعلماء، خاصة في مملكة دولة بني عباد وأميرها المعتمد بن عباد، (431هـ-488هـ)، الذي أكرم الثقافة ورجالها و"جذبت الشعراء والأدباء، فكانت ملقى الرحال، وقبلة الآمال، حتى إنه لم يجتمع بباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه" (ابن خلكان، د.ت: 24)، وكان "متمسكًا من الأدب بسبب، وضاربًا في العلم بسهم، وله شعر كما انشق الكمام عن الزهر، لو صدر مثله عمَّن جعل الشعر صناعة واتخذه بضاعة؛ لكان رائعًا معجبًا، ونادرًا مستغربًا". (المقري، 1949: 39).

وأيضًا ما شهدته البيئة الثقافية الأندلسية في مملكة بني صمادح، إذ يصف صاحب (قلائد العقيان ومحاسن الأعيان) أميرها المعتصم بالله أبا يحيى محمد بن معن بن صمادح بأنه كان من أهل المعرفة والأدب، وأنه "ملك أقام سوق المعارف على ساقها، وأبدع في انتظامها في مجالسها واتساقها، وأوضح رسمها، وأثبت في جبين أوانه وسمها، ولم تخلُ أيامه من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة أو محاضرة، إلا ساعات أوقفها على المدام" (ابن خاقان، 1989: 146). إضافة إلى الواقع الذي عاشته البيئة الثقافية الأندلسية في مملكة بني الأفطس في عصر ملوك الطوائف؛ فقد كان المظفر ابن الأفطس حريصًا على جمع علوم الأدب، ووصفه صاحب (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة): "أديب ملوك عصره، غير مدافع ولا منازع، وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق، المترجم بـ(التذكرة)، والمشتهر اسمه أيضاً بـ(كتاب المظفر)، في خمسين مجلدة، يشتمل على علوم وفنون من مغاز وسير، ومثل وخبر، وجميع ما يختص به علم الأدب، أبقاه في الناس خالدًا" (الشنتريني، 1997: 640، 641).

إن ما أُشير إليه أعلاه يعكس البيئة الثقافية الأندلسية التي ازدهرت فيها الحركة الثقافية والفكرية في مختلف مساراتها، خاصة فترة عصر ملوك الطوائف، رغم سوء الأحوال السياسية والفتن التي حلَّتْ بالأندلس، لكنها لم تُثنِ الشخصية الأندلسية عن الإبداع الأدبي وإثبات الذات؛ لأن الواقع الثقافي الفكري كان متطورًا "اتَّسم بالخلق العلمي، والرغبة في التحصيل، والأخذ بأسبابه والبذل فيه والسخاء في تقديمه، محبة واستجابة، هذا كله مهم في تعليل هذه الظاهرة لعصر الطوائف، وهي: علو الحركة العلمية، ووفرة إنتاجها، رغم سوء الأحوال السياسية والاجتماعية" (حجي، 1981: 412). وعليه؛ فلا غرابة أن تتأثر الشخصية الأندلسية ببيئتها، طبيعية كانت أم ثقافية؛ لأن الأدب في أصله "من وجوهِ التعبيرِ عن تصارُع الإنسان، بما يحيط به من مؤثراتٍ في سعيهِ لتحقيقِ ذاته " (حاوي، 1986: 78)، وما ميَّز الشخصية الأندلسية في إنتاجها الأدبي ذلك التأثر بالبيئة بمختلف مكوناتها ومشارِبها، مما أعطى تجربتهم الأدبية طابعًا خاصًا.

البيئة الثقافية الأندلسية وتطوير المصطلحات اللغوية والنقدية

تُعدُّ البيئة منظومة متباينة المكونات والعناصر، ومرتكزًا أساسًا في المنظومات المعرفية، فالعلاقة بين المؤثرات البيئية والأدب هي علاقة تأثير وتأثر،

خاصة فيما يتعلق بالمصطلح، إذ تؤثر البيئة في ألفاظ اللغة وبنيتها وتعابيرها. والمتتبع لمسار العقلية العربية في إطارها التاريخي ووفقًا للبيئات التي عاشت فيها، بدءًا من العصر الجاهلي وطبيعة البيئة الصحراوية التي هيمنتْ على عقلية الإنسان العربي إلى العصر الحديث، حيث الانفتاح الحضاري والتطور المعرفي، تتراءى له حقيقة أن المصطلح خضع لتغير البيئة التي ظهر فيها، فالمصطلح في العصر الجاهلي يختلف تمامًا عن المصطلح في صدر الإسلام وفي العصر الأموي، ويتباين عن المصطلح في العصر العباسي. أما في العصر الأندلسي فقد خضع المصطلح للمؤثرات المشرقية تارةً، وللخصوصية تارةً أخرى. ومن خلال نتائج البحث، والاستقراء والتحليل للمصادر ضمن عينة البحث؛ فقد تثبَّت لدى الباحثين أن مسارات المصطلحات في البيئة الثقافية الأندلسية كانت تنهل من مَوْردين:

المَوْردُ الأول: المصطلحات اللغوية والنقدية المشرقية

كان حريًا أن يتأخر ظهور الكثير من المؤلفات الأندلسية نتيجة الأحداث السياسية المتقلبة التي عاشتها الأندلس، وقد ظهرت مصطلحات مشرقية عند الأندلسيين منها مصطلح (الإغارة) الذي جاء به ابن طباطبا العلوي في (عيار الشعر) في معرض حديثه عن السرقات الشعرية، وظهر في قلائد العقيان، كقوله :(وكثيرًا ما يغير هذا الرجل على معاني الشعر) (ابن خاقان، 1989: ج2/ 941)، ومصطلح "نظم فرقديها" في التوابع والزوابع (ابن شُهيد، 2010: 87)، ومصطلح فحول الشعراء "هل جاذبت أنت أحدًا من الفحول" (ابن شُهيد، 2010: 137). وغلبتْ المصطلحات المشرقية في تآليف أهل الأندلس، ويظهر ذلك جليًا في كتاب (المخصص) لابن سيده، وابن الذهبي في كتابه (معجم الماء)، اللذين أوردا مئات المصطلحات اللغوية والنقدية، وكانت جلُّ المصطلحات تعود إلى أصل مشرقي في التوليد الاصطلاحي، إذ لم يظهر فيها أي أثر للبيئة الثقافية الأندلسية، وهذا ما يفسره الباحثون بأنه راجع إلى خصوصية الكتب؛ لأنها لا تناقش قضية ذات ارتباط بالبيئة الأندلسية، بل تناقش علومًا اكتمل جهازها الاصطلاحي قبل دخول المؤلِّف إلى الأندلس، بما يؤكد أن خصوصية المصطلحات ظهرت في المؤلفات ذات الارتباط بالمكان والثقافة الأندلسية. إضافة إلى ذلك؛ ولعل هذا الاستنتاج يقوي القول بأن شخصية ابن الذهبي ليست أندلسية، ويُحيط بها شيء من الغموض، فرغم كثرة الكتب التي أرخت للأندلسيين ونتاجهم الفكري والأدبي، ووجود مؤلفات حددت فصولًا للطارئين منهم على الأندلس، فقد أورد ابن بسام الشنتريني في ذخيرته ذكر المشارقة ضمن الجزء الأول من القسم الرابع، وخصص: (ذِكر الكُتاب الوزراء، والأعيان الأدباء، والشعراء الوافدين على جزيرة الأندلس والطارئين عليها، من أول المائة الخامسة من الهجرة إلى وقتنا هذا الذي هو سنة اثنتين وخمسمائة"، وخصَّص المقري الباب السادس في الجزء الثالث للمشارقة الوافدين على الأندلسية: "في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق"، لكنه لا توجد هناك إشارة واضحة إلى شخصية ابن الذهبي، وهو ما يؤكد أيضًا الباحث سلطان الشيباني في كتابه (أمالي التراث) في معرض حديثه عن شخصية ابن الذهبي. (الشيباني، 2015: 337).

المَوْردُ الثاني: المصطلحات ذات الخصوصية الأندلسية

ظهر مصطلح (الكتبة الشعرة) للمبالغة في الكتابة وقول الشعر، وهو مصطلح ذو خصوصية أندلسية عند ابن بسام الشنتريني، بما يؤكد ما ذهب إليه الباحثون في هذا البحث بأن الشعر تقابله الكتابة في الصورة الذهنية الأندلسية وليس النثر. وظهرت خصوصية مصطلح (النُّثار النُّظام) عند ابن بسام النشتريني (صيارفة النُّثار والنُّظام) (الشنتريني، 2000: ج1/23) بما يُشير إلى أن النثر يقابله النظم في مُخيلة الأديب الأندلسي. وتمثلت المصطلحات ذات الخصوصية الأندلسية في جُملة من الأيقونات البيئية والثقافية، هي:

أيقونة الغِنى والثراء

ظهرتْ مصطلحات ذات خصوصية أندلسية مرتبطة بأيقونة الغِنى والثراء منها مصطلح (الدر النظيم) الذي ظهر عند الفتح بن خاقان (ونظم يُزري بالدُّر النظيم) (ابن خاقان، 1989: ج1/ 121)، وهذه الفكرة ترتبط بالصورة النمطية لدى العقلية الأندلسية حول هذا المصطلح، واستعملت في سياق الغناء في الأندلس، ومنها في قول الشاعرة الأندلسية حمدونة بنت زياد (عفيفي، 1930، ج132/3):

يرُوعُ حصاهُ حالِيةَ الْعذَارى... فَتَلْمس جانِب الْعِقْدِ النَّظِيمِ

إضافة إلى ذلك؛ فقد ارتبطت خصوصية المصطلح الأندلسي بأيقونة الثراء والغناء المادي، منها مصطلح (صيارفة النُّثار والنُّظام)، فالناظم الصيرفي والناثر الصيرفي هو مَنْ يميز الكلام الجيد من الرديء في انزياح دلالي للمصطلح من حسيته إلى معنويته.

أيقونة اللهو والغناء

استخدم مصطلح (نغم) بشكل متعلق بأوصاف وقيود، منها في سياق اللهو المنتشر في البيئة الأندلسية: (وأسمعها أطيب من نغم معبد) (ابن خاقان، 1989: ج2/ 854)، ومصطلح (نغمة) عند ابن بسام الشنتريني "وأشهى من معاطات العقار على نغمات المثالث والأزيار" (الشنتريني، 2000: ج1/21) وهذا التقييد سواء بكلمة (معبد) أم بالإضافة (المثالث) حددَ مسارًا معينًا لاستخدام المصطلح. وأُستخدم أيضًا مصطلح (سجع) في أيقونة اللهو والغناء والموسيقى منها (غنى به كل ساجع) (ابن خاقان، 1989: ج2/ 926).

أيقونة جمال الطبيعة

ظهرت مصطلحات ارتبطت بجمال البيئة الأندلسية وطبيعتها، منها مصطلح (نثر) في قلائد العقيان (ونثر تسري رقته سرى النسيم) (ابن خاقان،

1989: ج1/ 121)، وأُستعمل مصطلح (البلاغة) استعمالًا خاصًا مرتبطًا بالزهور والنباتات التي تمثل خصوصية أندلسية كانت فيها الطبيعة ثيمة بارزة (ونجم في تربة البلاغة غربه ونبعه). (ابن خاقان، 1989: ج2/ 520)، وأيضًا مصطلح (الطبع) (له تحقق الأدب، وتدفق طبع إذا مدح أو نسب) (ابن خاقان، 1989: ج2/ 893)، وهذا مؤشر لخصوصية استعمال المصطلح في الأندلس.

أيقونة الجدل والنقاش

أُستعمل مصطلح (الإيجاز) في البيئة الثقافية الأندلسية في سياق المجادلة والحوار بخلاف المألوف في النقاشات الجدلية، منها (إذا أوجز أعجز، وإذا بيَّن أطال) (ابن خاقان، 1989: ج2/ 648)، وأيضا مصطلح (النادر) (فجاء بالنادر الذي أعجز)، (ابن خاقان، 1989: ج2/ 854) ومصطلح (بلوغ المعنى) عند ابن بسام الشنتريني (كان أبو عامر يبلغ المعنى ولا يطيل سفر الكلام) (الشنتريني، 2000: ج155/1)، ويقصد به الكلام الموجز الذي يؤدي المعنى مكتملًا بإيجاز غير مُخل. وتوسَّع مصطلح (التعريض) في مؤلفات الأندلسيين، فقد عقَدَ ابن حزم في طوق الحمامة بابًا أسماه (باب التعريض بالقول) (ابن حزم، 2013: 214) وظهر مصطلح (رسائل التعريض) عند ابن شُهيد (له رسائل كثيرة في فنون الفكاهة وأنواع التعريض)، والمقصود بالتعريض إظهار عيوب الآخر بطريقة غير مباشرة، ومصطلح (رسائل التعريض) أو (التعريضات السائرة)، إذ إن المألوف قولنا (مثل سائر) أو (عبارة سائرة)، أما (التعريضات السائرة) فهو مصطلح ذو خصوصية أندلسية.

أيقونة مستويات التأليف (الديوان، والرسائل)

تمثلت خصوصية المصطلح عند الأندلسيين في توسع دلالة بعض المصطلحات منها مصطلح (ديوان) وهو ما استعمله الفتح بن خاقان في وصف كتابه بالديوان (وبكماله تم جميع الديوان) ج2 ص957، وأيضًا عند ابن بسام الشنتريني (وقد أودعت هذا الديوان الذي سميته كتاب الذخيرة) (الشنتريني، 2000: ج21/1)، (وهذا الديوان إنما هو لسان منظوم ومنثور) (الشنتريني، 2000: ج23/1)، وعند ابن حزم في طوقه في معرض إشارته إلى زرياب ("وهو صاحب تأليفٍ في طرائق غناء زرياب وأخباره وهو ديوان عجيب جدا" (ابن حزم، 2013: 370)، فالديوان ذو طابع خاص في الصورة الذهنية الأندلسية؛ إذ إنه كتاب جامع في موضوعات متنوعة. إضافة على ذلك؛ فقد توسع مصطلح (الرسائل) عند الأندلسيين، إذ ظهر عند ابن حزم في (طوقُ الحمامة في الأُلفَةِ والأُلَّاف) حين أسمى مؤلفه (رسالة)، وظهر عند ابن بسام الشنتريني في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ليشمل ما يقابل الشعر (النثر)، وتكررت جملة (عجائب الأشعار والرسائل) في الجزء الأول من كتابه: (الشنتريني، 2000: ج19/1، 21، 23، 37، 56، 58) وهذا ما يؤكد أهمية الرسائل عند الأندلسيين، التي لم تعد رسائل ديوانية وإخوانية، بل توسع مصطلح الرسالة عندهم بما يؤكد دلالة معنى الرسالة بما يماثل مصطلح النثر. واستخدم ابن حزم في (طوقُ الحمامة في الأُلفَةِ والأُلَّاف) مصطلح (جنس الكتاب) في قوله: "ولولا خوفنا من إطالة الكلام فيما ليس من جنس الكتاب، تقصيناه" (ابن حزم، 2013: 151)، ويُقصد به (موضوع الكتاب). واستعمل السرد عند الأندلسيين بمعنى النثر المقابل للنُّظم كما ظهر عند ابن بسام الشنتريني "وعزَّني سرده ونظامه" (الشنتريني، 2000: ج24/1).

ومن أيقونة مستويات التأليف (الديوان، والرسائل) ظهر أيضًا مصطلح (القصائد السلطانية) أيضًا ليقابل في المشرق (مدائح الملوك). وهو مصطلح يفتح تساؤلًا: فالغالب على البيئة الأندلسية استعمال الأمراء والخلفاء، مما يلمح أن المعنى الذهني المستقر من مفهوم الملك هو السلطة القادرة على الأمر والنهي والفعل والقهر، وليس مجرد التملك المشتق منه لفظ الملك، ولا مجرد الأمر المشتق منه لفظ الأمير والأمراء، فدلالة لفظة السلطان هنا توحي بشمولية مفهومية لا توحي بها اللفظتان الأخريتان. واستخدم مصطلح (العامية) عند ابن بسام الشنتريني مقابلًا لمفهوم الهمجية والفوضاوية (انقلب أهلها من الإنسانية المتعارفة إلى العامية) (الشنتريني، 2000: ج61/1) وهو استعمال خرج عن المصطلح المألوف للمعنى، لارتباط الفوضى بالعامة من الناس غالبا. استخدم مصطلح (مليح المعاني) عند ابن بسام الشنتريني في (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) (الشنتريني، 2000: ج78/1)، فالمألوف قولنا: معنى مستظرف او معنى جيد وجميل، وصفة (مليح) ذات خصوصية للمرأة أو الغلام في وصف بعض الشعراء، وهي صفة تُدرك بالعين وليس بالفهم، لأنها من الجمال الظاهر، في حين أن المعنى مفهوم ذهني، لكن اللفظ منطوق، والملاحة سمة ظاهرة. فاستعمل ابن بسام لفظة (مليح) في خصوصية أندلسية، ليبين أن جمال المعنى واضح غير خفي، وهذا ما لا يتأتى بقولنا (معنى جميل) لأن الجمال " ما يرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق " (العسكري، 1980، 257)، وقد يكون ظاهرًا وقد يكون خفيًا، ومنها قولنا (جمال النفس). وظهر مصطلح (شعراء أهل الكلام) عند ابن حزم في (طوق الحمامة في الأُلفة والأُلَّاف)، "وكثيرا ما يصرف شعراء أهل الكلام هذا المعنى في أشعارهم" (ابن حزم، 2013: 168)، ومصطلح (أهل الكلام) ينصرف عند الاطلاق المجرد إلى المجادلين في العقائد الإسلامية، وقد استعمله ابن حزم لأنه كان من المتكلمين الكبار في زمانه في الأندلس، فنسبة الشعراء إلى شعراء أهل الكلام والمجادلين في العقائد يعني تخصيص الشعراء في فئة غير مألوفة، إذ جرى العُرف أن يقال: الشعراء الفقهاء مثلًا، أما تخصص الشعراء بأهل الكلام وهم أهل منطق عقلي، في حين أن الشعر خطاب عاطفي، فهنا يجمع ابن حزم بين غير مجتمعين في العادة المستعملة عند الأدباء في خصوصية مصطلحية أندلسية. واستعمل ابن حزم أيضًا في (طوق الحمامة) مصطلح (مخارج الكلام) "فإني لأُصاب بالمصيبة الفادحة، فأجدُ قلبي يتفطر ويتقطع، وأحسُّ في قلبي غُصة أمرَّ من العلقم تحول بيني وبين توفية الكلام حق مخارجه" (ابن حزم، 2013: 185) بمعنى دلالاته، وتغيير المصطلح يمثل خصوصية أندلسية. ووردَ مصطلح (تثقيف الكلام) عند ابن حزم "وتفاوتت معاني كلامه بعد حُسن تثقيف" (ابن حزم، 2013: 228) بمعنى حُسن اختيار الكلام،

فأصل التثقيف (تثقيف الرماح بمعنى إعدادها) ومنه ظهر مصطلح (المثقف)، أما (تثقيف الكلام) فهو تثقيف القول وتخيره وإعداد المناسب له، وهو مصطلح توليدي ظهر عند ابن حزم.

الخاتمة والنتائج

تناول هذا البحث أثر البيئة الثقافية الأندلسية في تطوير المصطلحات اللغوية والنقدية من ق 4هـ حتى ق 6هـ، واعتمد البحث على المنهجين الاستقرائي والتحليلي في تتبع المصطلحات اللغوية والنقدية واستخلاصها من المؤلفات المُختارة ضمن عينة البحث؛ للوقوف على المؤثرات الثقافية للبيئة الأندلسية، والعلاقة بين البيئة الثقافية والمصطلحات اللغوية والنقدية. ورغم قلة المصطلحات الأندلسية ذات الخصوصية الثقافية نظير هيمنة ثقافة المشرق اللغوية والأدبية والدينية والاجتماعية والسياسية على البيئة الأندلسية في الحقبة محل البحث الحالي، لكن البحث خلص إلى الآتي:

1. تمثلتْ أيقونة دوران المصطلحات الأندلسية في مسارات شكلت خصوصية المصطلح الأندلسي، منها: الغناء واللهو، الثراء، وجمال البيئة الأندلسية، والجدال والنقاش.
2. لم تكن بعض المصطلحات الأندلسية مذكورة دون قيد يخصصها أو يوضحها، فقد قُيدتْ بعض المصطلحات الأندلسية بقيود منها: الصفة، والإضافة، والإخبار عنها، وبالجملة الشارحة، والاحتراس وغير ذلك، بما يؤكد حرص الشخصية الأندلسية على خصوصيتها المصطلحية وتوضيحها لكيلا يقع بها لبس رغم قلتها.
3. يرى الباحثون أن البيئة الثقافية في الأندلس طورت في بعض الأغراض الشعرية منها الموشحات الأندلسية التي جاءت انعكاسًا لواقع البيئة الأندلسية ومتغيراتها التي خضعت لها الشخصية الأندلسية، ومن هنا كانت مصطلحات هذا اللون الأدبي مصطلحات أندلسية خالصة.
4. دارت الرسالة الهزلية لابن زيدون حول مصطلح (التعريض)، وتثبت ما ذهب إليه الباحثون في هذا البحث بأن مصطلح (الرسالة) هو المؤلَّف في موضوع واحد.
5. تضمَّنت (الرسالة الهزلية) مصطلحات تولدت وانتشرت في الثقافة المشرقية، أوردها ابن زيدون في رسالته الهزلية.
6. دارت المصطلحات الأندلسية ذات الخصوصية الثقافية في أيقونات مرتبطة بطبيعة المجتمع والثقافة الأندلسية وهي أيقونات الثراء والغنى، واللهو والطرب، وجمال الطبيعة، ومجالس الجدل والمناظرة والنقاش، وخصوصية التأليف سواء في مصطلح (الرسالة) ذات الموضوع الواحد أم مصطلح (الديوان) ذي الموضوعات المتعددة.
7. ونظير عزوف الكثير من الدارسين عن الأدب القديم والتوجه نحو دراسات الأدب الحديث؛ **يوصي الباحثون** بتوجيه الدارسين وطلبة العِلم نحو إجراء دراسات مماثلة تتناول جوانب أخرى يتضمنها الأدب الأندلسي الذي يزخر بالعديد من القضايا والظواهر الأدبية والنقدية وهي جديرة بالتمحيص العِلمي لإظهار مكنونات أدب الأندلس.

المصادر والمراجع

. (2013). *طوقُ الحمامة في الأُلفَةِ والأُلّاف*. تحقيق. عبد الحق التركماني، (ط2). بيروت: دار ابن حزم.

ابن خاقان، ف. (1989). *قلائد العقيان ومحاسن الأعيان*. تحقيق. حسين خربوش، (ط1). الأردن: مكتبة المنار للنشر والتوزيع.

ابن خلدون، ع. (2001). *المقدمة*. (د.ط). بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع.

ابن خلكان، أ. (د.ت)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ج5)*. بيروت: دار الثقافة.

ابن سيده، ع. (1996). *المُخصص (ط1)*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن شُهيد، أ. (2010). *التوابع والزوابع (ط3)*. تحقيق. بطرس البستاني. بيروت: دار صادر.

ابن عبد ربه، أ. (2021). *العقد الفريد (ط1)*. تقديم عبد الحكيم راضي. مصر: دار الفاروق.

البغدادي، ص. (1912). *طبقات الأمم*. تحقيق لويس شيخو. بيروت: المطبعة الكاثولكية.

بو شارب، ز. (2019). *المصطلح النقدي العربي حتى نهاية القرن 7 هـ: مرجعياته وإشكالاته*. أطروحة دكتوراة في النقد العربي القديم، الجزائر: جامعة محمد لمين.

الجاحظ، ع. (د.ت). *البيان والتبيين*. تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار الجيل.

حاوي، إ. (1986). *في النقد والأدب (ط5)*، ج1. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

حجي، ع. (1981). *التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة (ط2)*. بيروت: دار القلم.

الحميدي، م. (1997). *جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس*. تحقيق روحية السويفي (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

رقيق، ك. (2012). *المصطلح اللغوي عند سيبويه*. أطروحة دكتوراة في اللسانيات، الجزائر: كلية الآداب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد.
سلامة، ع. (1989). *الأدب العربي في الأندلس: تطوره، موضوعاته، وأشهر أعلامه (ط1)*. بيروت: الدار العربية للموسوعات.
الشنتريني، ع. (2000). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. تحقيق إحسان عباس (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
الشيباني، س. (2015). *أمالي التراث*. سلطنة عمان: منشورات ذاكرة عُمان.
الصحاري، ع. (2015). *كتاب الماء: أول معجم طبي لغوي في التاريخ*. تحقيق هادي حمودي (ط2). سلطنة عُمان: وزارة التراث والثقافة.
الصفدي، ص. (1966). *توشيع التوشيح*. تحقيق ألبيرت مطلق. بيروت: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.
عباس، إ. (1983). *تاريخ النقد الأدبي عند العرب (ط4)*. بيروت: دار الثقافة.
عبد العظيم، ع. (1980)، *ديوان ابن زيدون ورسائله (د.ط)*. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع.
العسكري، أ. (1980). *الفروق في اللغة*. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الآفاق الحديثة.
عفيفي، ع. (1930). *المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (ط1)*. السعودية، مكتبة الثقافة.
عليان، م. (1984). *تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري (ط1)*. بيروت: مؤسسة الرسالة.
المذخوري، م. (2004). *إشكالية المصطلح البلاغي، دراسة تطبيقية في المصطلح*. رسالة ماجستير، العراق، الجامعة المستنصرية.
المراكشي، ع. (1963). *المُعجب في تلخيص أخبار المغرب*. تحقيق محمد العريان. القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي.
المسدي، ع. (د.ت). *المصطلح النقدي*. تونس: مؤسسات عبد الكريم عبد الله للنشر والتوزيع.
المقري، أ. (1949). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذِكرِ وزيرها لسان الدين بن الخطيب*. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ج3، القاهرة: المكتبة التجارية.
الموسوي، م. (1993). *مباحث لغوية من حياة اللغة العربية*. بيروت: دار البلاغة للطباعة والنشر.

References

Abbas, E. (1983). *History of Literary Criticism among the Arabs* (4th ed). Beirut: House of Culture.

Abdel Azim, A. (1980), *Diwan Ibn Zaydun and His Letters*, (ed.) .Cairo: House of Egypt's Renaissance for Printing and Distribution.

Abu Shareb, Z. (2019). *Arabic critical terminology until the end of the 7th century AH: its references and problems, Doctoral thesis on ancient Arab criticism* .Algeria: Muhammad Lamine University.

Afifi, A. (1930). *Arab women in pre-Islamic times and Islam* (1st ed). Saudi Arabia, Culture Library.

Al-Baghdadi, S. (1912). *Classes of Nations*. edited by Louis Sheikho, Beirut: Catholic Press.

Al-Humidi, M. (1997). *Emblem Quoted in the Mention of the Governors of Andalusia*, investigation. Rawhiya Al-Suwaifi, (1st edition). Beirut: House of Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Alian, M. (1984). *Currents of Literary Criticism in Andalusia in the Fifth Century AH* (1st ed). Beirut: Al-Resala Foundation.

Al-Jahiz, A. (d.t.). *Statement and Clarification*. edited by Abdul Salam Haroun, Beirut: House of Al-Jeel.

Al-Marrakshi, A. (1963). *Al-Mujeeb summarizes Moroccan news*. investigation. Muhammad Al-Erian, Cairo: Committee for the Revival of Islamic Heritage.

Al-Masadi, A. (d.t.). *Critical Terms*. Tunisia: Abdel Karim Abdallah Institutions for Publishing and Distribution.

Al-Mazkhuri, M. (2004). *Problem of rhetorical terminology, an applied study in terminology (Master's thesis)*. Iraq, Al-Mustansiriya University.

Al-Mousawi, M. (1993). *Linguistic Investigations from the Life of the Arabic Language*. Beirut: House of Al-Balagha for Printing and Publishing.

Al-Muqri, A. (1949). *Breath of Perfume from the Branch of Flourishing Al-Andalus and Memories of its Vizier Lisan ud-Din ibn ul-Khattib*. investigation. Muhammad Mohieddin Abdel Hamid, Part 1, Part 3, Cairo: The Commercial Library.

Al-Safadi, S. (1966). *Tawshi'a Al-Tawshih*, (Investigation. Albert Mutlaq). Beirut: House of Culture for Printing, Publishing and Distribution.

Al-Sahari, A. (2015). *The Book of Water: The first medical-linguistic dictionary in history*. investigation. Hadi Hamoudi, (2nd edition). Sultanate of Oman: Ministry of Heritage and Culture.

Al-Shaibani, S. (2015). *Heritage hopes*. Sultanate of Oman: Memory of Oman Publications.

al-Shantarīnī, A. (2000). *Ammunition in the Merits of the People of the Island*. edited. Ihsan Abbas, (1st edition). Beirut: Dar

Al-Gharb Al-Islami.

Askari, A. (1980). *Differences in language*. investigation. Committee for the Revival of Arab Heritage, Beirut: Dar Al-Afaq Al-Hadeeth.

Hajji, A. (1981). *Andalusian History from the Conquest to the Fall of Granada*, (2nd ed). Beirut: House of Al-Qalam.

Hawi, E. (1986). *In Criticism and Literature* (5th ed). Part 1, Beirut: House of Al-Kitab Al-Lebanese.

Ibn ʿAbd Rabbih, A. (2021). *The Unique Necklace* (1st edition). Presentation. Abdel Hakim Radi, Egypt: House of Al-Farouk.

Ibn Hazm, A. (2013). *Ring of The Dove for Familiarity and Fellows*. investigation. Abdul Haq Al-Turkmani, (2nd edition). Beirut: House of Ibn Hazm.

Ibn Khaldun, A. (2001). *Introduction*. (Ed.). Beirut: House of Al-Fikr for Publishing and Distribution.

Ibn Khalkan, A. (D. T.), *Deaths of Notables aand the News of the Sons of Time* (vol. 5). Beirut: House of Culture.

Ibn Khaqan, F. (1989). *Al-Aqyan Necklaces and the Merits of Notables*. investigation. Hussein Kharboush, (1st edition). Jordan: Al-Manar Library for Publishing and Distribution.

Ibn Sayyidah, A. (1996). *Al-Mukhasas* (1st ed). Beirut: House of Revival of Arab Heritage.

Ibn Shahid, A. (2010). *Epistle of the Followers and Cyclones*. investigation. Boutros Al-Bustani, (3rd edition). Beirut: House of Sader.

Raqiq, K. (2012). *Linguistic terminology according to Sibawayh, Doctoral thesis in linguistics*. Algeria, Faculty of Arts and Languages, Abu Bakr Belqaid University.

Salama, A. (1989). A*rabic Literature in Andalusia: It is Development, Its Topics, and Its Most Famous Figures* (1st ed). Beirut: Arab House of Encyclopedias.